التراث الحضاري المشترك
وأثره في إنشاء المنظمات الأوروبية ووحدة أوروبا

الدكتور عبد السلام الترمانيني
رئيس قسم القانون الخاص - جامعة الكويت

في النصف الثاني من القرن العشرين أقامت دول أوربا الغربية بناء جديدا لها كان أعم ظاهرة سياسية واقتصادية أعقبت الحرب العالمية الثانية . وقد بدأ هذا البناء بإنشاء المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادي (١) ، وتتابعت بعدها منظمات أخرى قامت على اساس قانوني مشترك ومفاهيم اقتصادية جديدة .

كان ذلك نتيجة مباشرة لما أصاب أوربا الغربية من وهن ظهرت معالمه في الحرب العالمية الأولى وازداد وضوحا وجلاء في الحرب العالمية الثانية . فقد شعر الأوربيون بضعفهم وعجزهم . وادركوا ان أوربا المجزأة لم يعد لها وزن في مصير العالم . وانها لن تستطيع أن تمارس نفوذها الذي كانت تتمتع به من قبل . ومن أجل ذلك عزمت على أن تتكتل في منظمات تكون أساسا لوحدة أوربية وقاعدة لبناء جديد .

---

(١) Organisation Européenne de Coopération Economique (O.E.C.E.) ويرمز اليها

وفي الحق ، ان هذا التكتل في منظمات اقليمية لم يكن بسبب الظروف التي نشأت في أعقاب الحربين اللتين خاضتهما أوربا في النصف الأول من هذا القرن، وانما يرجع الى أسباب أبعد من ذلك وأشد عمقا ، وهو الماضي المشترك الذي يربط بين دول أوربا ، ذلك الماضي الذي عبر عنه فيكتور هوجو (٢) بقوله (ان الماضي هو جزء منا ومنه يصدر النسغ الذي يغذينا · ما نفع الشجرة بلا جذور ؟ وما نفع النهر من غير ينبوع ؟ وما نفع شعب بدون ماض ؟) · ان هذه الفكرة التي عبر عنها شاعر فرنسا الكبير ، تحتوي فلسفة البناء الأوربي الجديد وما كان له أن يقوم دون تقاليد مشتركة حملته أرضها ورفعته قواعدها ·

التقاليد المشتركة ودور روما بجمعها ونقلها

ترجع التقاليد المشتركة الى مصدرين : التراث اليوناني القديم والتراث المسيحي · فالتراث اليوناني هو الفلسفة اليونانية في العهد الوثني ـ أي ما قبل المسيحي ـ وكانت تقوم على تمجيد الانسان وربط أفعاله بعقله وادراكه واستمداد ارادته من ذات نفسه وتكريسه بتربية عقله وبدنه لخدمة المجتمع · والتراث المسيحي يقوم على تمجيد الأله والايمان به وتكريس الانسان نفسه لخدمته وربط ارادته بأرادة الله والاعتقاد ان ما من شيء يعرض للانسان الا وهو من الله · فكل من التراثين ، المسيحي والوثني ، كان يهدف الى تحقيق الكمال الانساني ، ولكن بطريق مختلف ، الأول بطريق العقل ، والثاني بطريق الايمان (٣) ·

وقد ورثت روما التراث اليوناني وتثقفت به وظهر اثره في قانونها وفقهها، كما ظهر اثره في حياتها العقلية والأدبية والفنية ، ثم ضمت اليه التراث المسيحي بعد أن اعتنقت المسيحية واضحت في القرن الرابع للميلاد ديانة الدولة · وكان دور روما التاريخي جمع التراثين ونشرهما وجعلهما أساسا لوحدة حضارية تجمع العالم الروماني وتطبعه بطابعها ·

---

(٢) فيكتور هوجو Victor Hugo كاتب وشاعر فرنسي (١٨٠٢-١٨٨٥) ·

(٣) لوي كارتو Louis Cartou : الوجيز في المنظمات الدولية Precis des Organisations Europeenne, P: IV

مصير التقاليد بعد سقوط روما وانقسام امبراطوريتها

في أواخر القرن الخامس للميلاد سقطت روما بأيدي جماعات البرابرة الذين كانوا يتربصون بها ، واقتسموا امبراطوريتها في الغرب ، فاللومبارد في ايطاليا، والفرنج والقوط في فرنسا ، والجرمن والساكسون في ألمانيا والوزيقوط في أسبانيا وفي القرن الثامن آلت مملكة الفرنج الى (شارل الأول) الذي فكر أن يعيد مجد الأمبراطورية الرومانية ، فأخضع قبائل اللومبارد واستولى على ايطاليا ، ثم أخضع قبائل الساكسون والجرمن واستولى على ألمانيا ، وحاول الاستيلاء على أسبانيا ففشل وردته جيوش المسلمين عنها · وقد دمج شارل البلاد التي استولى عليها في مملكة موحدة توجه البابا امبراطورا عليها ودعاها الامبراطورية الرومانية المقدسة واتخذ مدينة (اكس لا شابيل) عاصمة لها (٤) · ومن أجل ذلك سمي بشـــارل الكبـــير · (Charles le grand) أو (شـــارل العظـيم Charlemagne) (٥) ·

وبعد موت شارلماني سنة ٨١٤ خلفه ابنه (لويس) وكان يسمى لتقواه وطيبـــه (لويس التقـــي Louis le Pieux) أو (لويس الطـيب Louis le Débannaire) · وبموت هذا الملك سنة ٨٤١ اختصم ابناؤه الثلاثة فيما بينهم واحتربوا ، ثم اتفقوا سنة ٨٤٣ على اقتسام الامبراطورية وأبرموا في مدينة (فردان Verdun) اتفاقا بهذه القسمة عرف بمعاهدة فرادن ، وبموجبها استقل (لوثر Lothaire) بأيطاليا ، واستقل لويس بألمانيا ، وعرف باسم (لويس الجرماني Louis le Gremanique) واستقل شارل بفرنسا ولصلعه عرف باسم (شارل الاصلع Charles le Chauve) ·

كان تقسيم أوربا على هذا النحو نتيجة لفشل الأخوة الثلاثة ـ وقد ولدوا من أمهـات مختلفة ـ في الحفاظ على وحدة الامبراطورية التي أنشـــأها جدهم (شارلماني) · ولكن على الرغم من هذا الانقسام السياسي الذي أعقبه فيما بعد انقسام ديني بانشـطار الكنيسة المسيحية الى كنيسة كاثوليكية وأخـرى

---

(٤) اكس لاشابيل Aix La Chapelle ـــ تقع في المانيا الغربية وهي اليوم مدينة (آخن Aachen) ·

(٥) هو ابن (بيبان القصير Pépin le Bref) وحفيد شارل مارتل Charles Martel الذي قاد جيوش الفرنجة ضد العرب وانتصر عليهم سنة ٧٣٢ في وقعة (بواتيه Poitier)

بروتستانتية ، وما أدى اليه هذا الانقسام من حـروب ، فقـد احتفظت أوربا بتقاليدها المشتركة القائمة على العقل والايمان ٠

على أن نسبة العقل والايمان لم تكن على قدر واحد في التقاليد ، بل كانت تختلف على مر العصور ٠ ففي مستهل العصور الوسطى كان العنصر الديني هو الغالب وكانت التقاليد مشبعة به ، وكان من مظاهره انتشار الرهبنة التي عمت أوربا ، وشد الرحال للحج الى بيت المقدس ، ونشوب الحروب الصليبية ٠

احيـاء التراث القديم وظهور المذهب الأنساني

ظهرت في القرن الحادي عشر الدعوة الى احياء التراث اليوناني المتمثل في الفلسفة اليونانية ، والتراث الروماني المتمثل في القانون الروماني ، وكلاهما يدعو الى تمجيد العقل وأعماله في التفكير وفي التصرفات ٠ وقد ظل العقل في صراع مع الدين حتى أضحى في القرن الخامس عشر منافسا له ، وأخذ سلطان الكنيسة يضمحل ، وخاصة بعد ان أخذ سلطان الملوك يشتد ويقوى ٠ ولمـا هل القـرن السادس عشر أخذ رواد العقل من فلاسفة ومفكرين وادباء ، قيادة الفكر الأوربي وأعادوا للعقل مقامه الذي كان يحتله في التراث القديم ، وأصبح الانسان الأوربي يخرج من مدرسة الكنيسة ليدخل في مدرسة اليونان ويصبح تلميذا لأفلاطون وأرسطو وبلوتارك وابيكتاتوس (٦) ٠

وقد كان هذا التحول في الفكر ثورة حقيقية تمثلت بظهور أنسان جديد أخذ يشيع في أوربا ويعرف باسم (الانساني Humaniste) وفي تكوينه تآلف العقل والايمان وتوافقا ، فلم يعد المسيحي المتعصب يفكر كنظيره المسيحي في العصور الوسطى ، كذلك لم ينج العقلاني المتطرف من تأثير المسيحية أو الاخلاق المسيحية على الاقل ، بل كان كلاهما مطبوعا بطابع مزيج من العقل والايمان بنسب مختلفة باختلاف الافراد ، فنرى من الانسانيين من كان متدينا

---

(٦) افلاطون Platon فيلسوف يوناني كان تلميذا لسـقراط (٤٢٨–٣٤٨ ق٠م)
ارسطو Aristote فيلسوف يونـاني كان تلميذا لافـلاطون (٣٨٤–٣٢٣ ق٠م)
بلوتارك Plutarque كاتب يوناني (٥٠–١٢٥) ـ ابيكتاتوس ٠ Epictatus من أشهر فلاسفة المذهب الرواقي في القرن الاول للميلاد ٠

أمثال (ايراسم) (٧) الذي أوشك أن يصبح كارديناالا و (رابليه) (٨) الذي انهى حياته في ثياب راهب ، و (ديكارت) (٩) الذي ظل مسيحيا حتى مماته ، ونرى من رجال الدين من كان انسانيا عقلانيا مثل (بيكولميني) (١٠) الذي ارتقى سدة البابوية باسم (بيوس الثاني) ٠

وعلى اساس هـذا المزج بين العقل والدين قامت وحـدة حضارية ميزت الانسان الأوربي بقدرته على تلقي أفكار وأحدة وتمثلها ٠ فحيثما كانت تظهر فكرة في أوربا فأنها سرعان ما تنتشر في أرجائها ، وحيثما كان يظهر اختراع في جهة من جهاتها ، كان يظهر في جهة أخرى ، لا عن طريق الاقتباس أو التقليد بل عن طريق العقل الذي اكتسب القدرة على التحليل والتركيب ٠ فوحدة الحضارة في أوربا الغربية لم تقم على وحدة الاوربيين وانما قامت على طريقة تفكيرهم وقدرتهم على التلقي réception والتمثل assimilation وبها سلمت الجماعة الحضارية ولم يفسد وحـدتها الانشـقاق الديني والانقسام السياسي ، فكان العالم والمثقف لا ينتسب الى وطن معين ، وانما ينتسب ـ كما يقول أميل فاجيه ـ (١١) الى ذلك الوطن اللاتيني الكبير الممتد من أعماق المانيا الى سلامنكا ومن باريس الى ساليرن (١٢) ٠ ففي كل بلد كان العالم والمثقف يلقى أمثاله ويتبادل معهم المعرفة ، وقد يجد فيها تلامذة له تلقوا أفكاره (١٣)٠

وقد أنتشر المذهب الانساني في أوربا الغربية وأحدث انتشاره تحولا عميقا في الفكر ، وهو الذي أثار في جميع الميادين الثورة على المفاهيم القديمة التي كانت تسود العصر الوسيط واعاد النظر فيها على ضوء العقل وقام ببنائها على أسس جديدة ٠ وقد عم هذا التجديد الشامل أوربا وكان العقل هو الأداة التي

---

(٧) ايراسم Erasme مفكر هولندي من زعماء المذهب الانساني (١٤٦٩ـ١٥٣٦) ٠
(٨) رابليه Rablais كاتب فرنسي ، يعتبر المثل الكامل للانسـاني في عصـر النهضـة (١٤٩٤ـ١٥٥٣) ٠
(٩) ديكارت Descartes فيلسوف ورياضي فرنسي (١٥٩٦ـ١٦٥٠) ٠
(١٠) بيكوليميني Piccolimini كاتب ومؤرخ ايطالي (١٤٠٥ـ١٤٦٤) انتخب للكرسي البابوي سنة ١٤٥٥ ٠
(١١) اميل فاجيه Emil Faget كاتب فرنسي (١٨٤٧ـ١٩١٩) ٠
(١٢) سلامنكا Salamanqua مدينة اسبانية تقع شمال غرب مدريد ـ ساليرن Salerne مدينة ايطالية تقع على البحر التيراني جنوبي مدينة نابولي ٠
(١٣) بول هازار P. Hazard الفكر الاوربي في القرن الثامن عشر ، ترجمة د /محمـد غلاب ج : ١ ـ ص : ١٦٨ ٠

أثارت الروح العلمية . وعلى أساس الافكار الجديدة تأسست مفاهيم الدولة والقانون والمجتمع (١٤) . وفي المجال السياسي أدت تلك الأفكار الى الثورة في انكلترا في القرن السابع عشر . وهي الثورة التي اعلنها (كروموبل) على الحكم الانكليزي سنة ١٦٤٥ وأزال الحكم الملكي . كذلك أدت الى قيام الثورة في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٩) .

أوربا في القـرن التاسع عشر

في القرن التاسع عشر ظهرت في أوربا ظواهر ثلاث تميزت بها سياستها وكانت مصدر تهديدها بالاخطار . وقد برزت هذه الظواهر في الانقسام السياسي الذي احدثته معاهدة فينا سنة ١٨١٥ وفي السعي الى اقامة التوازن بعد تلك المعاهدة وفي بلوغ أوربا ذروة قوتها .

١ ـ الانقسـام السـياسي

بعد سقوط نابليون جرى تقسيم أوربا من جديد بموجب معاهدة فينا سنة ١٨١٥ . وكان هذا التقسيم خطرا على السلام . لانه تجاهل الثورات التي قامت وتغاضى عن الافكار الجديدة التي ظهرت معها . يضاف الى هذا ظهور فكرة القوميات . وقد كان من نتائج التقسيم اضعاف فرنسا والنمسا . وتقوية انكلترا . وتوحيد المانيا مع بروسيا وتوحيد ايطاليا مع بيمونت Piemont ثم ظهور فكرة القوميات في أواخر القرن التاسع عشر . فتحول النزاع بين الملوك الى نزاع بين دول تأسست على فـكرة القـوميات . وقد ادى تقـدم العـلم والتكنولوجيا الى تعميق الانقسام وآثار العداوات وأقام خلف واجهة السلام الذي ساد أوربا في أواخر القرن التاسع عشر العوامل التي أدت الى حروب القرن العشرين .

---

(١٤) لوي كارتو : المصـدر المتقـدم ص : ٢٤ .

٢ ـ التـــــوازن

كان البحث عن التوازن أهم ما يشغل الدول الأوربية بعد سقوط نابليون ، ذلك أن معاهدة فيينا المبرمة سنة ١٨١٥ ومعاهدة برلين المبرمة سنة ١٨٧٠ بعد انتصار ألمانيا على فرنسا واقتطاعها الالزاس واللورين منها ومطامع روسيا في البلقان والمضائق وسعي المانيا في ضم بروسيا اليها وسعي ايطاليا في ضم البيمونت اليها أيضا ومقاومة النمسا للافكار القومية والتحررية التي انتشرت في مملكتها وحذر ألمانيا من انتقام فرنسا ، كل هذا دفع الدول الأوربية الى اقامة أحلاف بينها للحفاظ على التوازن · وكانت هذه الاحلاف تتم وفقا للتقاليد الدبلوماسية التي تقوم على الخداع والمداجاة وتجرى مع الاهواء والمصالح ، لذلك كانت في تبدل مستمر فكان حليف الامس عدو اليوم وبالعكس · فهذه الطريقة في اقامة التوازن التي اتبعت طيلة القرن التاسع عشر كانت شؤما على السلام وسببا في اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ (١٥) ·

٣ ـ من ذروة القوة الى الانهيار (١٨١٥ ـ ١٩٤٥)

في القرن التاسع عشر بلغت أوربا ذروة قوتها في جميع الميادين ، ففي ميدان السياسة اقتسمت دول أوربا العالم الثالث وأنشأت امبراطوريات استعمارية ، وفي ميدان المال والاقتصاد ، أضحت أوربا ، وعلى الخصوص ، انكلترا وفرنسا ، مصرف العالم ومركزه المالي والاقتصادي · وقد ساهمت هذه القوة المتزايدة في الانقسام بما أثارت من منافسات استعمارية واقتصادية بين دول أوربا ، وكانت سببا في نشوب حرب ١٩١٤ · وفي هذه الحرب تصارعت أمم ومذاهب اقتصادية وأفكار وكانت بداية لزعزعة سلطة أوربا وانتهت في الحرب العالمية الثانية بانهيارها عسكريا واقتصاديا وسياسيا ·

والواقع ، ان هذا التحول السريع من أوج القوة الى الانهيار كان نتيجة أحداث تتابعت قبل ثلث قرن من الزمن · فقد نشأت دول كبرى خارج أوربا وأخذت تنازعها القوة والهيمنة . وتعمل على ازدياد نفوذها السياسي ، فلم تعد

---

(١٥) رينوفان Renouvin : تاريخ الفكر الاوربي Histoire de l'Idée Européenne T.VI. P: 242.

أوربا كما كانت في القرن التاسع عشر المسيطر الوحيد في العالم ، بل أخذت تلك الدول الكبرى (وهي الولايات المتحدة واليابان وروسيا) تنازعها التسلط داخل أوربا وخارجها · وقد أضعفت الحرب العالمية الأولى أوربا في حين زادت في قوة الولايات المتحدة وخرجت فرنسا من الحرب منهوكة ، وعملت انكلترا على عزلها ومساعدة المانيا في قضية التعويضات باسم اعادة التوازن الاوربي ، مما أتاح الفرصة لألمانيا ان تعد نفسها لاسترداد سيطرتها · وأدارت الولايات المتحدة ظهرها لأوربا ورفضت توقيع معاهدة فرساي ، ووقعت مع ألمانيا سنة ١٩٢١ معاهدة صلح منفرد ، واتبعت روسيا سياسة التفاهم مع ألمانيا ، وظلت ألمانيا ـ على الرغم من انكسارها ـ قوية بشعبها واقتصادها ووجدت في معاهدة فرساي أسبابا عديدة لطلب اعادة النظر فيها أو للامتناع عن تنفيذها ، وما لبث ان توالى زوال جميع الضمانات التي احتوتها تلك المعاهدة منذ قيام الجمهورية في ألمانيا سنة ١٩١٩ (١٦) ، وقد نصت المادة ٤٨ من دستورها على حق رئيس الجمهورية في أن يتخذ ، في حال تعرض الجمهورية للخطر ، جميع التدابير اللازمة ، ويكون لما يتخذ من تدابير قوة القانون · وقد اتاحت هذه المادة لرئيس الدولة الألماني أن يشل النظام البرلماني وان يلغيه اذا شاء ، وهذا ما فعله هتلر حين تولى السلطة عام ١٩٣٣ ·

لقد اتخذت أوربا عدة تدابير لمنع وقوع حرب ، منها انشاء عصبة الامم والحد من التسلح وتوقيع ميثاق لوكارنو Pacte de Locarno سنة ١٩٢٥ بين فرنسا وبلجيكا وألمانيا وايطاليا لحفظ السلام والاتفاق المعقود سنة ١٩٢٨ بين بريان وزير خارجية فرنسا وكيلوج وزير خارجية الولايات المتحدة والمعروف باسم (ميثاق بريان ـ كيلوج Pacte de Briand-Kellog) من أجل منع اللجوء الى الحرب · وقد عرفت تلك المواثيق بمواثيق السلامة الجماعية Pactes de la securité collective غير ان ما اتخذ من تدابير وما وقع من مواثيق لم يغن شيئا · فقد برز حادثان قلبا العلاقات الدولية ، أولهما الأزمة المالية التي سادت العالم سنة ١٩٢٩ والتي اشتدت في الولايات المتحدة وانكلترا وجعلتهما تنطويان على نفسيهما ، وثانيهما كان نتيجة لأولهما ، فقد اهتبل هتلر الأزمة المالية التي شغلت الدولتين الكبريين ، فحل جمهورية (ويمار) وتولى

---

(١٦) أعلن قيام الجمهورية الالمانية ودستورها في مدينة (ويمار Weimar) سنة ١٩١٩ وهي أول جمهورية ديموقراطية المانية وتعرف بجمهورية (ويمار) · والمدينة تقع اليوم في المانيا الشرقية ·

حكم ألمانيا ، وكان من نتائج ذلك الغاء الحد من التسلح ومعه مواثيق السلامة الجماعية ، فزالت بذلك الضمانات التي نصت عليها معاهدة فرساي وترتب على ذلك أن أعلن هتلر في ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ اعادة التجنيد الالزامي وتأليف جيش لا يقل عدده عن ستمائة ألف جندي وقت السلم واعادة تسليح ألمانيا · وفي ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٥ عقد هتلر مع بريطانيا اتفاقا بحريا اجيزت ألمانيا بموجبه بناء أسطولها الحربي ، فأرسخت بذلك بريطانيا نقض معاهدة فرساي ، وقد وقعت هذا الاتفاق دون استشارة فرنسا وايطاليا (١٧) · ووجد هتلر وموسوليني من تراخي الدول الأوربية باعثا على تحديها ، فوجه موسوليني حملة عسكرية الى (أثيوبيا) سنة ١٩٣٦ وكل ما فعلته فرنسا وانكلترا انهما عملتا على استصدار قرار من عصبة الامم بفرض عقوبات اقتصادية على ايطاليا، لم يلبث ان الغي في ٢ مايس ١٩٣٦ بعد ان تم احتلال أثيوبيا · وفي ٧ مارس من تلك السنة دخل هتلر بجيشه الى منطقة (الراين Rhenanie) التي كانت معاهدة فرساي قضت بتجريدها من السلاح واعاد تسليحها · وقد فوجئت فرنسا بهذا الحادث ، غير انها لم تستطع ان تفعل شيئا وتغاضت عنه على مضض (١٨) ·

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٣٦ ابرمت ألمانيا مع ايطاليا اتفاقا عرف باتفاق (المحور) وابرمت أيضا اتفاقا مع روسيا واعلنت الولايات المتحدة بلسان رئيسها فرانكلان روزفلت انها لن تتدخل في أي نزاع يقع بين انكلترا وفرنسا وبين ألمانيا ·

لقد أراد هتلر ان يجعل مصير أوربا بين يديه وان يجعل من برلين عاصمة الدنيا ، وكان مخططه في السيطرة على أوربا واضحا في خطاباته · وفي يوم ١٢ مارس (آذار) سنة ١٩٣٨ اقتحمت الجيوش الالمانية حدود النمسا ، وأعلن هتلر ضم النمسا الى المانيا · وفي أواخر صيف تلك السنة عرجت الجيوش الالمانية على تشيكوسلوفاكيا وضمت منطقة (السوديت) الى المانيا بدعوى ان أكثرية سكانها من الالمان · ولم تستطع انكلترا وفرنسا ان تستجيبا لنداء الرئيس التشيكوسلوفاكي (بنش Benes) في مده

---

(١٧) Grimberg : (Trad. Fr.) Histoire Universelle T: 12 P: 111

(١٨) Grimberg : المصدر المتقدم ج : ١٢ ـ ص : ١١٢ ·

بالعـون . واكتفت الدولتـان بأن ارسلتا الى هتلـر رئيسي وزرائهمـا للتفـاوض معه . والتقيـا معه في (ميونيخ Munich) وبعد مفـاوضـات طويلة حضرها موسوليني وقعوا اتفاقا بتـاريخ ٢٩ سـبتمبر (أيلـول) سـنة ١٩٣٨ عرف باتفـاق ميونيخ · وقـد قضى هذا الاتفـاق بتنـازل تشيكوسلوفاكيا لألمانيا عن (السوديت) وأبرم بغيابها واضطرت الـى الاذعـان . ويعد ابرامه أكبر فشـل للدبلوماسـية الغربية ففيـه تأكـد هتلـر من عجز الدولتين عن مقاومته وطمع في تنفيذ خطتـه في السـيطرة على أوربا · ومن أجل أن يستولي هتلـر على جميـع تشـيكوسلوفاكيا ويضع يـده على مصانعها وخاصة مصانع (سكودا) الشـهيرة فقد اثار القلاقل فيها وحرض (السلوفاك) على الانفصـال عن (التشـيك) فأعلنوا بتـاريخ ١٤ مـارس (آذار) سـنة ١٩٣٩ مطالبتهم بالاستقلال ، وعندئذ وجدت تشيكوسلوفاكيا ان لا مناص من الرضوخ فوضعت نفسها تحت حماية هتلـر ، وفي اليـوم التالي دخل هتـلر الى (براغ) منتشيا بظفره ومزهوا بانتصـار سياسته وتأسى موسوليني به فاحتل ألبـانيا ·

وعـاد هتـلر بعد ذلك يطالب بمنطقة (دانزيغ Dantzig) التـي ضمت الى بولونيا سـنة ١٩١٩ بدعوى ان اكثرية سـكانها من الالمان ، وأخذ يهـدد باحتلالها · وكان يأمل ان يتحقق مطلبه باتفـاق على غـرار اتفـاق ميونيخ ، ولكن انكلتـرا وفرنسـا سارعتا الى ضـمان اسـتقلال بولونيـا والدفـاع عنهـا . فأمر هتلـر جيوشـه بافتحـامها فاقتحمتهـا في صـباح اليوم الاول من سبتمبر (أيلـول) سـنة ١٩٣٩ ، وكانت هي الشـرارة التي اندلعت منها الحرب العالمية الثانيـة · وقد دامت هذه الحرب خمس سـنوات ونصف تقريبا (من سبتمبر ١٩٣٩ الى مايس ١٩٤٥) وانتـهت بسـحق المانيا وحلفائها . وكانت نتيجتها انهيـار أوربا وفقـدها السـيطرة على العـالم وانتقـال هذه السـيطرة الى الولايات المتحـدة ·

مشاريع الوحدة الاوربية من القرن الرابع عشر الىٰ القرن العشرين

خرجت أوربا من الحرب وقد عمهـا الخراب والتدمير وليس فيهـا منتصر ، ورأت انه لابد من اعادة بنـائها من جـديد بنـاء يسـتمد عناصره من وحـدة الفكـر والتقـاليد ، ويشـاد على أسس موحدة تضـمن سـلامتها السياسية

ونموها الاقتصادي ٠

أما وحدة الفكر فقد ساهم في وحدتها الفلاسفة والعلماء والادباء والمفكرون ، وعبر عنها الفرنسي والانكليزي والالماني والايطالي حتى ولو اختصموا وقاتل بعضهم بعضا ٠ ففي القرن الثامن عشر عبر عنها فولتير (١٩) و (مونتسكيو) (٢٠) ، وعبر عنها في القرن التاسع عشر فيكتور هوجو وكان في طليعة الادباء الداعين الى انشاء وحدة أوربية ٠ كذلك عبر عنها (لامارتين) (٢١) و (ميشليه) (٢٢) و (جيوبرتي) (٢٣) و (هين) (٢٤) ٠

وأما الوحدة السياسية فيرجع تصورها الى القرن الرابع عشر وكان أول من طرحها (بيير ديبوا) (٢٥) فقد عاش هذا الفقيه المعاصر لملك فرنسا (فيليب لوبيل Philippe le Bel) في وقت كان نظام الاقطاع يسود فرنسا ، وكانت دويلاته في حروب متصلة وقد استعصت على سلطة الملك والبابا ٠ ومن أجل أن يشيع السلم فقد دعا (ديبوا) الى انشاء نظام للتحكيم لفض المنازعات بينها واقترح ان يتولى التحكيم مجلس مؤلف من كبار الامراء ورجال الدين ، وان يكون البابا المرجع الاعلى للنظر في الاحكام التي يصدرها هذا المجلس ٠ غير ان مشروع (ديبوا) لم يظهر له أي صدى في ذلك الوقت ، وبعد مائة سنة تقريبا ، أي في القرن الخامس عشر ، استوحى فكرته رجل أعمال فرنسي يدعى (أنطوان ماريني Antoine Marini) وقدم الى ملك بوهيميا (جورج دو بوديبرادي Georges de Podiebrady) مشروعا يقوم على مبدأ عدم الاعتداء والتعاون المتبادل بين الدول ، ويتضمن المشروع انشاء اتحاد أوربي يحد من سيادة الدول الاعضاء ويقوم على ادارته مجلس وميزانية اتحادية وجيش مشترك ، ويخضع التحكيم فيه لاصول مشترك يجرى التصويت فيه بالاكثرية النسبية ، وله محكمة قضائية

---

(١٩) فولتير Voltaire كاتب وشاعر فرنسي (١٦٩٤-١٧٧٤) ٠
(٢٠) مونتسكيو Montesquieu كاتب فرنسي (١٦٨٩-١٧٥٥) ٠
(٢١) لامارتين Lamartine شاعر فرنسي (١٧٩٠-١٨٦٩) ٠
(٢٢) ميشليه Michelet مؤرخ فرنسي (١٧٩٨-١٨٧٤) ٠
(٢٣) جيوبرتي Gioberti فيلسوف وسياسي ايطالي (١٨٠١-١٨٥٢) ٠
(٢٤) هين Heine كاتب الماني (١٧٩٧-١٨٥٦) ٠
(٢٥) بيير ديبوا Pierre Dubois فقيه فرنسي (١٢٥٠-١٣٢١) ٠

واجراءات معينـــة ٠

وفي القـرن السادس عشر لم يظهر أي مشروع اتحـادي ، حتى اذا جـاء القـرن السـابع عشر ظهرت عـدة مشـاريع :

منهـا مشروع قدمه (سوللي Sully) الى (هنري الرابع) ملك فرنسا وكان كبير وزرائه وفيه يقترح تقسيم أوربا الى خمس عشرة منطقة متساوية ما أمكن ، يقوم بينها سلام دائم ، تشرف عليه مجالس تمثل هذه الدول ، وتنعقد في مدينة (دانتزيغ) بالنسبة لدول شمال شرق أوربا ، وفي مدينة (نورمبرج) بالنسبة للدول الالمانية ، وفي مدينة (فينا) بالنسبة لدول أوربا الشرقية ، وفي مدينـــة (بولونيـــا Boulogne) بالنسبة للدول الايطالية ، وهكذا ٠٠٠ وتنظر هذه المجالس بالدرجة الاولى في المنازعات التي تثور بين هـذه الدول ، وتستأنف قراراتهـا الى مجلس أعلى يدعى (المجلس الشديد المسيحية Conseil trés Chretien) يتألف من أربعين عضوا يمثلون الدول الخمس عشرة ، ويضمن تنفيذ القرارات الصادرة عن هذه المجالس جيش أوربي تموله جميع الدول الاعضاء (٢٦) ٠

ومنها مشروع قدمه (ايميريك كورسيه Emeric Crucé) (٢٧) المعاصر للويس الثالث عشر ملك فرنسا وينطوي على فكرة جديدة هي اقرار السلام ، ليس لذاته فحسب ، بل لأنه عامل أساسي لنمو الاقتصاد ونشاط التبادل التجاري ٠ ومن أجل ذلك يقترح (كورسية) انشاء مجلس دائم للتحكيم، يعقد جلساته في مدينة (البندقية) ويتألف من ممثلين للدول المسيحية ودول العـالم من تركيا الى اليـابان ٠

ومنهـا مشروع تقـدم به أمريكـي يدعى (ويليم بن) (٢٨) وفيـه يقترح على أوربا انشـاء مجلس يضـم ممثلين عن دول أوربا وتركيـا ، وتصـدر قراراته بالاكثرية ، ويضمن تنفيذها مجلس مشترك (٢٩) ٠

---

(٢٦) Denis de Rougemont : Vignt - huit. Siceles d'Europe P:96

(٢٧) Emeric Cruce

(٢٨) William Penn رجل قانون امريكي (١٦٤٤-١٧١٨) مؤسس ولاية بنسلفانيا واليه ينسب اسمهـا ٠

(٢٩) Histoire de l'Idee Europeenne : B. Voyenn

ومن بين الاسماء الكبيرة في القرن السابع عشر يبرز اسم (لايبنتز) (٣٠) ، فقد وضع منهجا فلسفيا يهدف الى وحدة العالم ودعا الى قانون عالمي يستمد قواعده من المبادىء المشتركة في جميع الشرائع ٠

وفي القرن الثامن عشر ظهرت عدة مشاريع لتوحيد أوربا كانت من صنع رجال ينتسبون الى القرن السابع عشر او الى القرن التاسع عشر ، منهم الاب (دوسان بيير) (٣١) فقد وضع مشروعا لسلام دائم نشر سنة ١٧١٢ ٠ ويقوم مشروعه على خمس نقاط : تحالف دائم بين الملوك ، وتأليف مجلس أوربي من أربعين عضوا تكون له سلطة التشريع والقضاء ، وانشاء قوة مسلحة ترتبط بالمجلس ، وتدخل جماعي ضد الدول التي لا تحترم قرارات المجلس ، وتعديل الميثاق بالاكثرية ٠ وقد قام (جان جاك روسو) (٣٢) باختصار هذا المشروع والتعليق عليه ونقده من حيث أنه يقترح قيام اتحاد عماده الملوك بينما يرى (روسو) ان مثل هذا الاتحاد انما عماده الشعوب ولا يكون إلاّ بالثورة ٠ وفي أواخر القرن الثامن عشر ظهرت اقتراحات بمشاريع اتحادية أخرى ، منها مشروع (بنتام) (٣٣) الذي وضعه سنة ١٧٨٩ ونشره سنة ١٨٣٩ ، ومشروع (كانت) (٣٤) الذي نشره سنة ١٧٩٥ بعنوان (مشروع فلسفي لسلام دائم) ، وقد كتب هذا المشروع ابان الثورة الفرنسية ، وفيه يقترح انشاء اتحاد بين الدول يخضع لقوانين مشتركة ، فالقانون هو الذي ينبغي ان يكون عماد الاتحاد والاساس لحل المنازعات ، وحتى يتم ذلك فأنه يقترح قيام اتحاد بين الدول ينعقد على شكل مؤتمر دائم ٠

وفي القرن التاسع عشر حدث تغيير عميق بنشوب الثورة الفرنسية والعهد الامبراطوري الذي اعقبها وظهرت مذاهب اجتماعية واقتصادية جديدة ، فقد نبه الاذهان كتاب كبار ولوحوا بالخطر الذي يهدد أوربا من قوتين جبارتين هما : الولايات المتحدة وروسيا ٠ وكان يسيطر على

---

(٣٠) Leibniz فيلسوف ورياضي الماني (١٦٤٦-١٧١٦) ٠
(٣١) L'abbé de St. Pierre كاتب فرنسي (١٦٥٨-١٧٤٣) ٠
(٣٢) جان جاك روسو J. J. Rousseau كاتب ولد في جنيف (١٧١٢-١٧٧٢) ٠
(٣٣) بنتام Bentham فيلسوف وفقيه انكليزي (١٧٤٨-١٨٣٢) ٠
(٣٤) كانت Kant فيلسوف الماني (١٧٢٤-١٨٠٤) ٠

الفكر الاوربي اسمان كبيران هما : سان سيمون (٣٥) وبرودون (٣٦) فسان سيمون يرى ان وحدة أوربا تتم بأنشاء برلمان يتألف أعضاؤه من دولها على ان يكونوا من كبار رجال القانون والاقتصاد والفن · أما (برودون) فقد نـدد بالنزعة القومية التي سادت أوربا في القرن التاسع عشر ورآها مصدر خطرين ، أولهما قيام دول قوية يتنازعها التنافس بالقوميات ، وثانيهما استمرار الحروب بينهما ، وهو يرى ان الحرية الحقيقية لا تتحقق للناس الا في مجتمع يتألف من مناطق (كومونات Communes) أو (ولايات Provinces) متحدة على أساس اللامركزية ، وان ترتبط هذه المناطق أو الولايات في اتحاد عام تتألف منه أوربا فتكون هي (اتحاد الاتحادات Féderation des Féderations) ·

وقد بقيت هذه المشاريع المقترحة لتوحيد أوربا في حدود النظريات ، وكل ما فعلته الدول في القرن التاسع عشر هو اقامة تعاون منسق بينها ، كان يبدو في المؤتمرات التي توالى انعقادها خلال ذلك القرن وكان أولها مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ ثم مؤتمر (اكس لاشابيل) سنة ١٨١٨ ومؤتمر (تروبو Troppau) سنة ١٨٢٠ ومؤتمر (لايباخ Laybach) سنة ١٨٢١ ومؤتمر (فيرون Veron) سنة ١٨٢٢ ، ومؤتمر لندن سنة ١٨٣٠ ومؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ ومؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ ومؤتمر بروكسل سنة ١٨٨٥ ومؤتمر لاهاي سنة ١٨٩٩ ثم سنة ١٩٠٧ ·

وكانت الغاية من عقد هذه المؤتمرات ترمي في ظاهرها الى تحقيق توازن في أوربا عن طريق الاحلاف . غير أن نوايا الدول وأهدافها كانت مختلفة ، فانكلترا كانت تجد فيها أداة لمراقبة الدول الاخرى وأشغالها في أحلاف كانت تعمل على تبديلها بين حين وآخر لتنفرد في بسط سلطانها على البحار وتحمي امبراطوريتها الاستعمارية ، وكانت النمسا تجد فيها وسيلة للدفاع عن العروش ومقاومة الحركات التحررية والقومية ، وكانت المانيا تسعى من ورائها لتحقيق وحدتها وبسط سلطانها على أوربا · ومن أجل ذلك كانت تلك المؤتمرات تتسم بالدبلوماسية ويغلب فيها الخداع والمداجاة ، ولهذا لم تثمر في تحقيق وحدة بين الدول ،

---

(٣٥) Saint Simon كاتب فرنسي (١٦٧٥-١٧٥٥) ·

(٣٦) برودون Proudhon : (١٨٠٩-١٨٦٥) صاحب مذهب مطبوع بالفوضى · كان يحلم بوجود مجتمع دولي يقوم على التعاون الاقتصادي والسياسي ·

بل كانت سببا في تعميق الخلافات واثارة الاطماع التي أدت الى حربين متواليتين في النصف الاول من القرن العشرين ٠

الوحدة القانونية

واذا كانت التجمعات والتكتلات لم تحقق الوحدة السياسية التي دعا اليها الفلاسفة والمفكرون ، فأنها حققت الوحدة القانونية ، فقد ظهرت الدعوة الى هذه الوحدة في القرن الحادي عشر أي في فجر العصور الوسطى حين قام راهب يدعى (ايرنريوس) بتأسيس مدرسة للقانون في مدينة (بولوني Boulogne) بايطاليا وتولى فيها تدريس قانون جوستنيان واتخذه أساسا لتفسير الاعراف ، وقد عرفت هذه المدرسة بمدرسة الشرح على المتون (Ecole de l'exgés) ٠ وقد انتشرت حركة الاحياء بعد ذلك في فرنسا والمانيا وأصبح القانون الروماني الاساس في الدراسات القانونية ، وعلى قواعده وضع القانون المدني الفرنسي في مستهل القرن التاسع عشر (١٨٠٨) والقانون المدني الالماني في أواخر ذلك القرن (١٨٩٥) ، وبات القانونان المنهل الذي تنزح منه قوانين البر الاوربي وقوانين أكثر البلاد في آسيا وافريقيا ٠

ثم تجاوزت فكرة التوحيد نطاق القانون المدني لتشمل توحيد القوانين التي تنظم الفعاليات الاقتصادية والتجارية بين دول العالم ، بعد ان وثب العلم وثبته الكبرى في استخراج الطاقات وتطوير الصناعات ، مما أدى الى نمو القانون العام الاوربي والدولي بأقرار أنظمة قانونية موحدة في مجالات كثيرة منها نظام الملاحة البحرية والنهرية ونظام النقل بالسكك الحديدية واتحاد البريد العالمي واتحاد المواصلات اللاسلكية والاتفاقات المتعلقة بحماية الملكية الصناعية والاتفاقات الخاصة بحماية المؤلفين ٠

وفي القرن العشرين ازداد نطاق الوحدة القانونية سعة فتوحدت قواعد النقل البري والجوي وتوحدت قواعد قانون العمل والقواعد المتعلقة بالبيع الدولي والاوراق التجارية وغير ذلك من القوانين الاخرى مما ينبيء بتحقيق فكرة القانون العالمي

التي نـادى بهـا الفلاسـفة والمفكرون وكـانت فاتحـة أول مؤتمر للقـانون المقـارن انعقـد في باريس سـنة ١٩٠٠ ٠

مشـاريع وحدة اوربا السـياسية في القرن العشرين ٠

بعـد الحرب العالمية الاولى عادت فكرة وحـدة اوربا السياسية الـى الظهور وتحولت من النظـر الى التطبيق العملي ، فقـد وضع (كوندنهوف كاليرجي Candenhove Kalergie) كتابا بعنوان Pan-Europ وفيه دعا الى انشـاء اتحـاد أوربي يقوم على تخلي الدول الاوربيـة عن سيادتها ٠ ولتحقيق هذا المشروع فقـد قـام بتأسيس حركة ، جعلهـا تحت رعـاية شـخصيات كبيرة ، ودعـاها (وحـدة أوربـا الشـاملة L'union Pan-Europénne وقد قبل (ارستيد بريان Aristid Brian) وزير خارجية فرنسـا ان يكون رئيس شرف لهـا ٠

ثم ظهرت حركات أخرى كالاتحـاد الاقتصـادي والجمركي الاوربـي L'Union Economique et douanière واتحـاد الـوفاق الاوربي Féderation pour l'entente Européenne . غـير ان المشـروع الذي أحـدث صدى في الرأي العـام هو ذلك الذي تقـدم بـه (ارسـتيد بريـان) الى عصـبة الامم في يوم ٧ سبتمبر (أيلول) سـنة ١٩٢٨ ، وفيـه يقتـرح انشـاء رابطـة اتحـادية بين دول اوربـا دون مس بسـيادتها ٠ وقـد وافقت الدول على هذا الاقتـراح ـ باستثناء بريطانيا ـ وكان مصـيره أن دفن في ركام الاجراءات الكلاسيكية بأحالته الى لجنة خبـراء لدراسـته ٠

وبعـد الحرب العالمية الثانية دخلت فكرة الوحـدة مرحلـة الانجـاز الحـاسم ، فقد طرح (ونسـتون تشرشل) فكرة الاتحـاد الاوربي في خطاب القاه في جامعة (زيوريخ) في ١٩ ديسمبر (كانون أول) سـنة ١٩٤٦ ، وكان لهذا الخطاب صدى كبير في أوربا أدى الى انشـاء (الاتحـاد الاوربي لدعـاة النظـام الفدرالي Union Européenne des Féderalistes) و (الحركة الاشتراكية لانشاء دول متحدة أوربية Le Mouvement Socialiste pour les Etats-unis d'Europe.) و (الاتحاد البرلماني الاوربـي L'Union Parlementaire Européene) ٠ وفي شـهر ديسمبر (كانون أول)

سنة ١٩٤٧ انبثقت عن هذه الحركات الاتحادية (لجنة دولية لتنسيق الحركات الداعية لوحدة أوربا Comité Internationale pour l'Unité Européenne).

وقد قامت هذه اللجنة بعقد عدة مؤتمرات كان أشدها أثرا في تحقيق فكرة الوحدة المؤتمر المنعقد في لاهاي بين ٧ـ١٠ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ ، وقد أدت الاقتراحات التي طرحت فيه الى انشاء مجلس أوربا Conseil d'Europe . ثم عرضت اقتراحات أخرى نشأ عنها منظمات أوربية ، منها مجلس كومونات (مناطق) أوربا Conseil de Communes d'Europe الذي تأسس سنة ١٩٥١ ، والذي كان يجمع ، بشكل دوري ، ممثلي الكومونات في أوربا ، ومنها اتحاد اوربا الدفاعي La Communité Européenne de Defense واللجنة العاملة لانشاء دول متحدة أوربية La Comité d'Action pour les Etats-Unis d'Europe.

وهكذا فان بناء أوربا الحالي كان من اعداد اجيال من الكتاب والفلاسفة والمؤرخين والشعراء ورجال القانون والسياسة ، فكل هؤلاء اشتركوا في بث الحنين الى الوحدة وبعث الامل في احيائها وجمع شتات أوربا .

بناء أوربا منذ عام ١٩٤٥

اعترض فكرة الوحدة مبدأ سيادة الدولة ، وظهر بين الدول الاوربية اتجاهان ، فالبعض رأى أن يقوم تعاون بين الدول في اطار مؤسسات دائمة لا تتمتع بسلطة الاكراه ، والآخر رأى ان يقوم نظام اتحادي تخضع فيه الدول الاعضاء الى سلطة عليا Supranationale وقد واجه بناء أوربا سنة ١٩٤٥ هذا التعارض بين الوحدة والسيادة ، وكانت الغلبة لمبدأ السيادة . ومن أجل ذلك بدأ التعاون الاوربي بالاساليب الكلاسيكية ، وذلك بعقد احلاف عسكرية ، فانعقد بتاريخ ١٧ مارس (آذار) سنة ١٩٤٨ حلف عسكري بين بريطانيا وفرنسا وبلجيكا ،

ثم اتسع هذا الحلف ليشمل اعداء الامس وأطلق عليه اسم (اتحاد أوربا الغربية Union de l'Europe Occidentale ويرمز اليه (U.E.O.) ، ولم يلبث ان امتد التعاون في هذا الحلف الى النطاق الاقتصادي ، ففي أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ تأسست بموجب معاهدة وقعت في باريس ، المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي Organisation Européenne de Cooperation Economique وما عتمت ان ولدت (أوربا السياسية) بانشاء مجلس أوربا في ٥ مايو (أيار) سنة ١٩٤٩ (٣٧) · وقد تحددت أهداف المجلس في نظامه وهي : توثيق العلاقات بين أعضائه وصيانة المثل العليا والمبادىء المشتركة بينهم ودفع الحياة الاقتصادية والاجتماعية نحو التقدم · وامتد التعاون الاوربي بعد ذلك الى اشكال متعددة من الانشطة والفعاليات السياسية والتقنية والاجتماعية والاقتصادية · غير ان هذا التعاون ، على اتساع نطاقه ، كان محدودا ، ولم يكن في واقعه سوى علاقات تتسم بالدبلوماسية ، فقد كان مشوبا بعلة الحرص القديم على مبدأ السيادة ولهذا كانت بريطانيا تعارض كل شكل من أشكال الاتحاد ، كما كان عدد الدول المساهمة فيه متحولا ، فبعضا سبعة أعضاء وبعضا أحد عشر عضوا ، وأحيانا سبعة عشر ، كذلك كان مجردا من أية سلطة عليا يخضع لقراراتها ·

انشاء الجماعات الاوربية Les Communautés Européennes

لم يكن التعاون الذي بدأت به أوربا بناء كيانها على أساسه مجديا ، لانه لا يختلف عن التعاون الكلاسيكي القديم ، فلم يبدل شيئا من هيكلها التقليدي ·

وفي ربيع سنة ١٩٥٠ انطلقت فكرة جديدة لبناء أوربا ، كانت ثورة على الهيكل التقليدي ، وقد اطلقها (روبير شومان R. Schuman) وزير خارجية فرنسا حين أعلن عن خطته بانشاء جماعة أوربية من ستة دول

---

(٣٧) تالف هذا المجلس من فرنسا وانكلترا وبلجيكا واللوكسمبورج وهولندا والسويد وايرلندا والدانمرك والنرويج ثم انضمت اليه على التوالي اليونان وتركيا ونيوزيلندا والمانيا الاتحادية والنمسا وقبرص وسويسرا ومالطا ·

ممن يوافقون على التخلي عن سيادتهم للجماعة المقترح انشاؤها · وكان أول تطبيق عملي لهذه الخطة انشاء المجموعة الاوربية للفحم والصلب (٣٨) ويرمز اليها (C.E.C.A.) · فقد انشئت هذه المجموعة بموجب معاهدة روما بتاريخ ١٨ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥١ وضمت كلا من فرنسا والمانيا الاتحادية وبلجيكا وايطاليا وهولندا واللوكسمبورج · وقد تميزت هذه المجموعة عمن سبقها من المجموعات في انها تضم عددا قليلا من الدول (ستة دول) وتخضع الى أجهزة عليا (فوقمية Supranational) تتمتع بصلاحيات محددة في بعض المجالات ، وتستطيع بموجب هذه الصلاحيات اتخاذ قرارات ملزمة للدول الاعضاء · وكانت الغاية من انشاء هذه المجموعة تحقيق تقارب سياسي بين الدول الاعضاء بأنشاء سوق مشتركة للفحم والصلب والغاء جميع العقبات التي تعترض نقل السلع والبضائع . دون تمييز بين الدول الاعضاء ، والغاء الرسوم الجمركية عن الفحم والصلب وفلزات الحديد ومخلفاته ·

وتبع انشاء هذه المجموعة انشاء مجموعتين أخريين هما : (المجموعة الاقتصادية الاوربية) (٣٩) المعروفة باسم السوق الاوربية المشتركة Le Marché Commun) و (المجموعة الاوربية للطاقة الذرية) (٤٠) · وقد تم الاتفاق عليهما بموجب معاهدة روما الموقعة بتاريخ ٢٥ مارس (آذار) سنة ١٩٥٧ . وكانت الغاية من انشاء المجموعة الاولى (السوق الاوربية المشتركة) دعم اقتصاد الدول الاعضاء ورفع مستوى المعيشة بينها بأطلاق حرية انتقال البضائع والاشخاص ورؤوس الاموال ووضع سياسة مشتركة في مجال الزراعة والتجارة والمنافسة والطاقة والنقل وخفض الرسوم الجمركية التي الغيت بعد ذلك بموجب المعاهدة الموقعة بتاريخ ١ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٨ . وكانت الغاية من انشاء المجموعة الثانية تشجيع الدول الاعضاء وحثها على استثمار الطاقة في الاغراض السلمية · وتخضع هذه المجموعات لاجهزة اتحادية (فدرالية) تتمثل فيها الدول المشتركة . وتتمتع في المجالات المحددة لها بسلطة اتحادية · ولما كان الاقتصاد يعتبر عنصرا أساسيا في الدولة ،

---

(٣٨) La Communauté Européenne de charbon et de l'acier

(٣٩) La Communauté Economique Europeenne (C.E.E.).

(٤٠) La Communauté Européenne de l'Energie Atomique (C.E.E.A.)

لذلك كان من الطبيعي ان تبسط الجماعات الاوربيـة ، من خـلال ادارتهـا للمصـالح الاقتصادية المشتركة ، سلطتها على الامور السياسية وهي : الدفاع والعلاقات الخارجية ٠

على ان بناء أوربا على أساس هذه المبادىء الجديدة لم يلبث ان اعترضته صعوبات ، فان مقاومة مبدأ السيادة ظلت قوية ، وقد أثارت أزمات حـادة كان أشدها الازمة التي برزت خلال النصف الثـاني من ١٩٦٥ ، حين امتنـع على الاعضاء الستة الوصول الى اتفاق على النظـام الزراعي ٠ فقـد حصـلت الازمة من تنـازع بين مفهـوم الاتحـاد والسيادة (الفوقمية Supranational) المنبثقة عن معـاهدة روما وباريس وبين مبـدأ سـيادة الدولـة الذي تمسك به الجنرال ديغول ، مما أضعف المجموعة الاوربية ، وزاد في ضـعفها الازمـة النقـدية التي حدثت بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ٠

وقد دعت هذه الازمات الى بذل الجهـود للحفاظ على البنـاء والاستمرار فيه ، وتداعت دول المجموعـة الـى عقـد مؤتمـر لاهـاي في أول سـبتمبر (أيلول) سـنة ١٩٦٩ ، وكان مؤتمر قمـة جمـع رؤسـاء الـدول الاعضاء ٠ ولـم يمكن اتخـاذ قرارات واضحـة فيه لقصـر مدة انعقـاده التي لم تتجاوز اليومـين وكانت الغـاية منـه كسر طـوق الازمـة التي احـدقت بالبنـاء الاوربي بوضـع ضـمانات أزالت الحذر الذي راود بعض الـدول وخـاصة فرنسا ٠ وقـد مهـد المؤتمر للتفاوض مع بريطانيا والدانيمـارك وايرلندا والنرويج للدخول في عضوية السوق المشتركة ، وتم قبول هذه الدول بالمعاهدة الموقعـة في يناير (كانون الثاني) سـنة ١٩٧٢ علـى ان تكـون سـارية المفعول في أول عام ١٩٧٣ ٠ وقد اصبح عـدد اعضاء السـوق المشتركة ، بعـد انسحاب النرويج تسـعة أعضاء (٤١) ، وأخيرا انضمت الى السوق اليونان فأصبح عدد أعضائها عشرا ٠

وهكذا نرى ان المجموعات الاوربية قد بدأت بمجموعة الفحم والصـلب (C.E.E.A.) ثم بالمجموعة الاقتصادية (C.E.E.) ومجموعة الطاقة النووية (C.E.CA.) ٠ والمجموعة المسيطرة اليوم هي مجموعة السـوق الاوربيـة

---

(٤١) انسحبت النرويج من عضوية السوق الاوربية المشتركة بعد الاستفتاء الذي اجرته في ٢٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٧٢ ٠

لاشـتمال نشـاطها على الامور الاقتصادية العامة ، أما المجموعتان الاخريان فنشاطهما مقصور على أمور محدودة ٠

توحيد مؤسسات المجموعات الاوربية الثلاث L'Assemblé Parlementaire

اذا كانت هذه المجموعات قد ولدت متفرقة ، فان معاهدة روما لسـنة ١٩٥٧ كانت في مضمونها تهدف الى توحيدها ، فنصت على توحيـد جميـع مجالسهـا البرلمانية في مجلس واحد ، ثم تم توحيد المجالس التنفيذية واللجان والقضاء بموجب معـاهدة بروكسل الموقعـة بتاريخ ٨ أبريل (نيسـان) سـنة ١٩٦٥ ، فأضحى للمجموعات الثلاث مجلس برلماني واحـد ومجلس تنفيذي واحد ولجنـة واحدة وقضاء واحد ٠

المجلس البرلماني

هذا المجلس هو الهيئـة التي تضـم ممثلي الدول الاعضـاء وعـددهم ١٩٨ عضواوهم موزعون علىالنحو التالي : ٣٦ نائبا لكل من فرنسـا والمانيا وايطاليا وبريطانيا ، و ١٤ نائبا لكـل من بلجيكـا وهولنـدا ، وعشـرة نواب لكل من الدانمارك وايرلندا ، وستة نواب للوكسمبورج ٠ ويضـع المجلس نظامه وينتخب رئيسـه ومكتب الرئيس ، ويجتمـع بصـورة عـادية ثاني يوم ثلاثاء من شـهر مارس ، ويجتمـع بصورة اسـتثنائية بطلـب أكثرية أعضائه أو بطلب رئيس المجلس التنفيذي أو اللجنة الموحدة ٠ ومقره في مدينـة اللوكسمبورج ٠

ويناقش المجلس البرلماني التقرير السنوي الذي تقـدمه اللجنـة ويبـين رأيـه في الامور السـياسية والاقتصـادية التي ينبغي على اللجنـة مراعاتها ، ويضع ميزانيته ، ويجري التصويت فيه بالاكثرية المطلقـة ، وبهذا يبـدو المجلس كهيئة استشـارية ٠

المجلس التنفيذي L'Assemblé Executive

المجلس التنفيذي ـ ومقره مدينة بروكسل ـ هو أهم هيئة في المجموعات الثلاث · وقد بينت معاهدة بروكسل طريقة تأليفه وعينت وظائفه وحددت صلاحياته · وهو يتألف من ممثلين عن الدول الاعضاء ويتولى رئاسته واحد منهم ، ويجتمع بدعوة من رئيسه أو من أحد اعضائه ، ويقوم بتطبيق احكام المعاهدات التي تأسست بموجبها المجموعات الاوربية (معاهدة باريس لعام ١٩٥١ ومعاهدة روما لعام ١٩٥٧) والتي تهدف الى تأمين تناسق في السياسة الاقتصادية العامة بين الدول الاعضاء ، ويتمتع بسلطة اتخاذ القرارات بهذا الشأن ، ولكنه في العادة لا يتخذها الا بناء على اقتراح اللجنة الدائمة · وتصدر قراراته بالاكثرية المتوازنة ، أي التي يراعى فيها النسبة العددية لكل دولة من دول الاعضاء · أما القرارات المهمة فتصدر بالاجماع ·

اللجنة الدائمة Le Comité Permanant

والى جانب المجلس التنفيذي توجد لجنة دائمة تتألف من ممثلين دائمين عن الدول الاعضاء وهم في مرتبة السفراء ، ويتولى رآستها عضو الدولة الذي يتولى رئاسة المجلس التنفيذي ، وتقوم بتأمين الاتصال بين الدول الاعضاء والمجموعات الاوربية وتنسيق الاعمال بينها ، كما تساهم في أعمال أجهزة المجموعات ، كذلك تقوم بأعداد القضايا التي تعرض على المجلس التنفيذي ، وتنفذ ما يعهد به اليها هذا المجلس ·

اللجنة المفردة La Commission Unique

توحدت في هذه اللجنة لجان المجموعات الثلاث وذلك بموجب معاهدة بروكسل وتتألف من ثلاثة عشر عضوا يعينون لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد ، اثنان لكل من فرنسا وبريطانيا وايطاليا والمانيا ، وواحد لكل من هولندا وبلجيكا والدانيمارك واللوكسمبورج · ويرأس اللجنة رئيس له ثلاثة نواب لمدة سنتين قابلتين للتجديد · وتسعى اللجنة الى اصدار

قراراتها بالاجماع او بالاكثرية الواسعة Large majorité . وتمثل اللجنة المفردة مصالح الجماعة الاوربية ولا يخضع أعضاؤها لسلطة دولهم وهم يمارسون أعمالهم باستقلال تام ، ومن يخل بحياده أو يرتكب خطأ فادحا يكن مسئولا ويعفى من مهمته بحكم يصدر من المحكمة القضائية بناء على طلب المجلس التنفيذي أو اللجنة الدائمة .

وتتولى اللجنة المفردة صلاحيات مهمة منها تقديم التوصيات أو الآراء التي تحقق الغرض من معاهدة روما ، وتساهم في صنع القرارات التي يصدرها المجلس التنفيذي والبرلمان وتقوم بتنفيذها . كذلك تراقب تطبيق احكام معاهدة روما والقرارات المتخذة بشأنها . وبالجملة فأن اللجنة المفردة تساهم في تكوين واعداد السياسة الجماعية وتؤمن تنفيذ معاهدة روما وجميع الاعمال المتعلقة بها وتقوم بتمثيل المجموعة الاوربية في بعض المفاوضات الدولية ، وهي في كل ما تقوم به تعمل بوحي المصلحة الجماعية .

القضاء La Jurispendence

يتولى القضاء في المجموعات الاوربية محكمة قضائية موحدة Cour de Justice Unifié تتألف من تسعة قضاة يساعدها أربعة محامين عامين ، ويعين هؤلاء لمدة ست سنوات من قبل حكومات الدول الاعضاء وبالاتفاق فيما بينهم ، ويتجددون تجددا جزئيا كل ثلاث سنوات ، ويختارون من بين كبار القضاة المشهود لهم بالكفاءة أو من بين رجال القانون الذين ذاعت شهرتهم . وللمجلس التنفيذي أن يقرر بالاجماع زيادة عدد القضاة والمحامين العامين اذا طلبت منه المحكمة ذلك . ومهمة المحامين العامين ان يقدموا . بكل حياد واستقلال ، طلبات معللة ومسببة ويقومون في ذلك بالدور الذي يقوم به مفوضو الحكومة أمام مجلس الدولة الفرنسي . وقد نيط بهذه المحكمة مهمة تأمين احترام الحقوق في تفسير وتطبيق المعاهدات .

ولا تؤدي المحكمة مهمتها كمحكمة دولية ، وانما تؤديها كاداء المحاكم الوطنية (الداخلية) ذلك ان القضاء الدولي قد وضع على مثال القانون

الدولي ، فهو يقضي بين أطراف يتمسكون بسيادتهم ولا يلتزمون الا بأرادتهم ومشيئتهم · أما المحاكم الوطنية (الداخلية) فانها تقضي بين أطراف يخضعون لاحكامها بغير ارادتهم · فالمحكمة القضائية ليست اذن محكمة دولية وانما هي محكمة داخلية للمجموعات ، وقد تأسست على غرار المحاكم الوطنية ، وبصورة خاصة القضاء الاداري الفرنسي من حيث شخصية المتقاضين ومن حيث صلاحيتها وطبيعة النزاع المرفوع اليها والاجراءات التي تتبعها وتقضي بموجبها ·

ويشمل اختصاص هذه المحكمة : الالغاء والتفسير والقضاء الشامل والتحكيم واتخاذ تدابير رادعة ·

١) ـ فالالغاء هو طلب ابطال قرار غير قانوني لتجاوز السلطة ، وصلاحية المحكمة بالالغاء لهذا السبب مستمدة من نص المادة ١٧٣ من معاهدة روما اذ عهدت للمحكمة مراقبة شرعية القرارات التي يتخذها المجلس واللجنة ·

ولكل دولة من دول الاعضاء ، وللمجلس التنفيذي واللجنة المفردة ، ولكل ذي مصلحة سواء أكان شخصا طبيعيا أم معنويا ، ان يطعن أمام المحكمة القضائية بالقرارات التي تمس مصلحته مباشرة أو تعنيه · ومدة الطعن شهران من يوم نشر القرار المطعون فيه في الجريدة الرسمية التي تصدرها المجموعة الاوربية ، أو من يوم التبليغ أو يوم العلم به · أما أسباب الابطال فهي الادعاء بعدم الصلاحية أو اهمال الشكليات الجوهرية أو خرق احكام معاهدة روما أو أية قاعدة قانونية تتعلق بتطبيقها أو تجاوز السلطة · واذا ما قبل الطعن فأن المحكمة تقضي بألغاء القرار المطعون فيه الغاء كليا أو جزئيا ·

كذلك يمكن للمحكمة ان تقرر الزام المجلس التنفيذي أو اللجنة المفردة بأصدار قرارات او اتخاذ اجراءات اذا كان في سكوتها أو امتناعها عن اتخاذها أو اصدارها خرقا للمعاهدة · ويكون ذلك بطلب كل ذي مصلحة سواء أكان شخصا طبيعيا أو معنويا · ولكن عليه قبل اللجوء الى المحكمة ان يتقدم الى الجهة الممتنعة أو الساكتة باستدعاء يتظلم من امتناعها أو سكوتها فاذا لم تستجب خلال شهرين ، فيعتبر ذلك رفضا ولمن تظلم ورفض طلبه بعد ذلك أن يرفع الدعوى امام المحكمة القضائية خلال شهرين

من تاريخ الرفض ٠

٢) ـ وللمحكمة القضائية وحدها حق تفسير نصوص معاهدة روما فقد نصت المادة ٢١٩ من هذه المعاهدة على أن الدول الاعضاء (تتعهد الا تخضع أي خلاف أو نزاع ناتج عن تفسير المعاهدة أو عن تطبيقها لغير الاجراءات التي نصت عليها المعاهدة) ٠ وصلاحية التفسير هذه تجعل المحكمة القضائية تمارس نوعا من الوصاية على المحاكم الوطنية ، فأذا ما عرض على محكمة أمر أو نزاع يستوجب تفسير نص من نصوص المعاهدة فعلى هذه المحكمة ان تطلب من المحكمة القضائية للمجموعة تفسير النص وتلتزم بتفسيره ٠ وبتاريخ ٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٧١ وقعت الدول الاعضاء في مدينة اللوكسمبورج ملحقين منحت بموجبهما المحكمة القضائية صلاحية تفسير أحكام اتفاقيتين ابرمتا بين الدول الاعضاء احداهما تتعلق بالاعتراف المتبادل بالشركات (تاريخ ٢٩ـ٢ـ١٩٦٨) والاخرى تتعلق بالاختصاص القضائي وتنفيذ الاحكام في القضايا المدنية والتجارية (تاريخ ٢٧ـ٩ـ١٩٦٨) ٠

٣) ـ وللمحكمة القضائية صلاحية القضاء الشامل Pleine Juridiction بأن تفصل في جميع النزاع في القضية المرفوعة اليها ٠ وهذا ما يميز هذا القضاء عن قضاء الالغاء ، ففي هذا القضاء ينحصر عمل المحكمة في حالة محددة هي الغاء ما يطلب منها الغاؤه ٠ اما صلاحيتها في القضاء الشامل فتشمل النظر في الوقائع والقانون ، فقد تلغي القرار المطعون فيه وتستبدله بقرار آخر تصدره هي ، على ان لا تتجاوز في ذلك حقوق الادارة (أي السلطة التي أصدرته) ولها ان تحكم بالعطل والضرر ، ولها أيضا ان تخلي المدعي من المسئولية المالية التي تحملها ٠

٤) ـ وللمحكمة ان تتخذ اجراءات قامعة Mesures repressives لاجبار الدولة العضو في المجموعة على تنفيذ قراراتها والتقيد بأحكام المعاهدة ٠ وتبدأ هذه الاجراءات بأن تطلب اللجنة المفردة من الدولة بيان الاسباب التي دعتها الى عدم التنفيذ أو الرفض ، فأذا لم تقدم الدولة أسبابا مقنعة وتمادت في عنادها ، فليس هناك اجراءات قسرية تكرهها على التنفيذ ، وانما هناك وسائل أخرى قامعة وحاسمة ، فالدول الاعضاء في هذه الحالة تتخذ ضدها اجراءات اقتصادية تضطرها

الى الرضوخ · ومن المعلوم ما للأجراءات الاقتصادية ، في يومنا هذا ، من اثر حاسم في العلاقات الدولية ومن قدرة في التغلب على العنـاد السياسي ·

القـانون المقـارن والوحدة الاوربيـة

لقـد قـام القـانون المقارن بدور فعـال في تأسيس المجموعات الاوربية · فالمعاهدات التي أبرمت في باريس وروما وبروكسل ولاهاي كانت حصـيلة دراسـات مقـارنة ساعدت في تقرير احكام موحدة لبنـاء الوحدة الاقتصـادية والسياسية · واذا كان الاقتصـاد ومصـادر الطاقـة هـي سـمة العصـر الحديث فأن المصـالح التي ترتبط بهمـا قد اضحت هدف القـانون المقـارن والشـغل الشـاغل لرجـاله وهم بسـبيل توحيد القوانين التي تنظم هذه المصـالح · وقد حققت المعـاهدات الدولية وما زالت تحقق في مجـالات كثيرة جانبا مهما من أهـداف القـانون المقـارن بتوحيدها كثيرا من النظم الاقتصادية والتجـارية والاجتماعية · وكان انشـاء المجموعات الاوربية ومن ثم توحيدها تجربة رائدة واختبارا ناجحـا للقـانون المقـارن · وحبذا لو تأست الـدول العربية بهذه التجربة فبدأت كما بدأت تلك المجموعات بالوحـدة الاقتصـادية لتكون أساسا لوحدة سياسية تقضي على هذا التشتت الذي تعـانيه الامـة العربية ، لا سيما وان عناصر الوحدة متوفرة في الارض العربية بما تحـويه من ثروات وفي التراث المشـترك الذي يجمـع الشـعب العربي ·